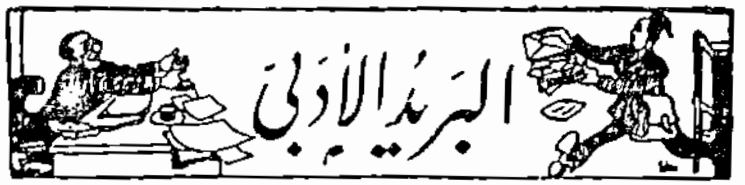

فى كتابة التاريخ :

(إلى الأستاذين عبد الرحمن الرافعى بك وعباس محمود العقاد)

من بضعة أسابيع نشرت مقالا بعنوان « اللغة العربية تصارع » أطريت فيه بدأ أسداها للضاد الأساتذة سعد زغلول باشا والدكتور عبد السلام ذهنى بك وعبد الحميد عبد الحق ، فقد كان للأول فضل تعميم العربية فى معاهد الدرس بدل الإنجليزية ، وكان للثانى يدٌ طولى فى إقرار مبدأ المرافعة بالعربية فى محاكم الاختلاط ، وانتصر ثالثهم لاستخدام العربية فى شركات التجارة وبيوتات المال .

وحسبت حين نشرت ذلك المقال أنى لم أزد على أن استقيت من التاريخ بعض وقائعه ونسجت حولها خيوطاً جعلت منه وحدة أدبية تفضل الأستاذ العباس بنعتها « بمقالة نيرة » .

ولكن أديباً — هو الأستاذ عزت المنشاوى — عقب على مقالى فى جريدة منبر الشرق ، مشككا فى فضل سعد زغلول على اللغة العربية ، مستشهداً على ذلك بما أورده الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه « مصطفى كامل » ، وهذا نصه :

« واشتد الفقيد (مصطفى كامل) فى نقد سعد باشا حين طلبت الجمعية العمومية من الحكومة فى مارس سنة ١٩٠٧ جعل التعليم فى المدارس الأميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ باللغة الانجليزية ، فاعترض سعد باشا وألقى خطبة طويلة فى هذا الصدد سوغ فيها جعل التعليم باللغة الانجليزية قائلا : إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعاً لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة ... وقال : إذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا ، فإننا نكون أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا فى الجارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة . »

ومن ثم عدت إلى كتاب « سعد زغلول . سيرة وتحية » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد لأستفتيه فى هذا الأمر وأقف على ما أورده فى هذا الصدد . فلم يخرج ما قاله العقاد عما أودعته فى مقالى ، وهو ما أجمع عليه المؤرخون من أن لسعد زغلول فضل تعميم العربية فى المعاهد ، وإليكم نص ما جاء فى كتاب العقاد :

« ومن أجل الأعمال التى قام بها سعد فى وزارة المعارف وجازف من أجلها بمنصبه وبحسن العلاقة بينه وبين الأقوياء عملان : أحدهما كان مغضباً للانجليز ، والآخر كان مغضباً للخديو وأتباعه من الشيوخ الأزهريين ...

« نقل التعليم من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية ، فأغضب الانجليز أشد الغضب واحتاج إلى تذليل عقبات أخرى غير عقبات المقاومة السياسية ، وهى تحضير الكتب وتحضير المدرسين وتهيئة الجو للتدرج من نظام متغلغل متشعب مضت عليه خمس وعشرون سنة إلى نظام طارىء لايزال فى دور التمهيد ، محتاجاً إلى المعدات والمنفذين »

* * *

فنحن إذاً أمام روايتين غير متطابقتين ، يقول بالواحدة الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك ، ويقول بالثانية الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد . وهذه واقعة تاريخية لايجدى المنطق فى إثباتها إن كانت باطلة ، أو تفنيدها إن كانت صائبة . ولذلك أرانى مناشداً الأستاذين الكبيرين أن يفيضا — على صفحات الرسالة إذا تسنى ذلك — فى تبيان ماعندهما من ملابسات لهذه الحادثة التاريخية لنستطيع أن نخلص برأى أيا كان محوره .

وما دمنا بصدد هذه الواقعة التاريخية ، أذكر ملاحظتين قد تكونا معوانا فى فهم النهج الذى يتبع فى كتابة التاريخ القومى فى مصر .

وأول الملاحظتين أن شيخاً كبيراً فى المقام عاشر التاريخ المصرى فى القرن الأخير « وعاش » معظم وقائعه قال لى — وهو اليوم عضو فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية — إنه يقسم بأن التاريخ المصرى المطبوع حافل بأخطاء لا حصر لها ، وأنه دأب على أن يسمى التاريخ المصرى « تاريخاً لوابياً » لأنه دائم الانحراف

عن الحقيقة بسبب عدم تدوينه فى حينه ، وإرجاء مهمة التأريخ إلى ما بعد انقضاء زمان بعيد على الأحداث المرجو تأريخها .

وقد ألححت على هذا الشيخ فى نشر مذكراته إنصافاً للتاريخ وللواقع ، فتأبى متعللا بأنه بلغ من طول العمر وشدة الهزال مرتبة لا تمكنه من الرد على ما يتعرض له من حملات إذا ما رأت مذكراته ضوء النهار فى حياته .

للشيخ الكبير من المقام ومن العلم ومن الثقافة ما يجعلنى أتردد كثيراً قبل أن أحكم ببطلان رأيه . هذه ملاحظة .

أما الملاحظة الثانية ، فلعلها لم تبرح بعد مخيلة القارئين ، لأن الصحف ما فتئت تتناول موضوعها من جوانب شتى .

فقد عرف القاصى والدانى ما حل بمصر فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، وكنا نحسب من عامين أو ثلاثة أن تاريخ تلك الواقعة قد سجل فعلا ، ولم يعد هناك مزيد لمستزيد . بيد أنه اتضح أخيراً من محاكمات المتهمين فى قضية الجرائم السياسية أن فى جعبة الساسة كثيراً من البيانات المستورة ، وأن الحادث لا يزال حتى الآن غير واضح وضوحاً تاماً .

أولا يحق للمرء أن يسأل : إذا كان هذا الحادث التاريخى الذى حدث من خمسة أعوام أو ستة لا يزال موضعه فى التاريخ بين شد وجذب ، فكيف يكون الحال إذا بعدت المشقة بين الحادث والمؤرخ ، وامتدت المسافة بين الواقعة والسجلين لها ؟

وبعد ، فلعل الأستاذين الجليلين العقاد والرافعى بك يتفضلان — مشكورين — باطلاع القراء على ما يعرفان عن فضل سعد على اللغة العربية — أو إساءته إليها ، لأن من حق الجيل الجديد أن يعرف حقيقة أمر تضاربت فيه الآراء .

روبع فلسطين

فى أدب المهجر :

أشكر للأستاذ مناور عويس هذه اللفتة الحميدة للتحدث عن أديب المهجر الكبير ميخائيل نعيمه الذى رفع منارة الأدب العربى فى الدنيا الجديدة هو وإخوانه الأدباء من مهاجرى العرب . والحديث عن ميخائيل نعيمه وإخوانه ممتع لأنه يتصل بالشاعرية التى تمردت على القيود الكلاسيكية القديمة وانطلقت حرة فى الفضاء إلا من المعانى السامية واللمحات الدقيقة ومنذ زمن مضى وأنا أتطلع إلى أدباء الشرق لعلهم يتحدثون عن تلك النهضة المهجرية ويشيدون بمفاخر إخوانهم هناك وينشرون فى الجيل الجديد هنا ما كتبه أولئك وما نظموه ، فهناك نثر ، وهناك شعر ينبضان بالحياة المشرقة الضحوك ، وينبضان بالإبداع الذى يماشى الحياة فى موكبها النشيط لأنهما يتدفقان من ينبوع الواقع ، وينبعثان من الوعى والوجدان ، ففيها فلسفة ، وفيها حب وغزل ، ودعوة للانسانية المثالية الشاملة .

ما أكثر إنتاج نعيمه ، والريحانى ، وجبران ، وإيليا ، وإلياس فرحات ، ونسيب عريضه ، وأمين مشرق ، وغيرهم ، ولكن هذا الإنتاج على كثرته وقوة الإبداع فيه لم يكن له ذلك الصدى المحسوس فى دنيا الشرق إلا قليلا عند من ترسموا خطى المهجريين وتابعوا سيرتهم ، وإذا كان بعض مؤلفات جبران والريحانى ، وقصائد نعيمه وإيليا قد أخذ نصيبه من الذيوع والانتشار فى ربوعنا فليس ذلك بكاف فى التتبع والدراسات الصحيحة ، فهناك غير هؤلاء من الشعراء والكتاب قد ملأوا الدنيا الجديدة بعصارة عقولهم وقلوبهم ، ونشروا عليها أجنحة ضافية من أخيلتهم السمحة ، وليس أدل على ذلك من الصحف الكثيرة التى يصدرها إخواننا المهجريون فى ديار الغربة أمثال مجلة « الشرق » و « العصبة » و « السمير » و « الهدى » وأمثال جريدة « البيان » التى كانت بحق لسان القومية العربية الذرب وقد قرأت من هذه الجريدة أعداداً كثيرة يوم كانت تصل إلى العراق قبيل الحرب ولا أغالى إذا قلت : إنى لم أجد من بين صحفنا العربية هنا ما يشبهها حماسة وعروبة ودفاعاً عن البلاد العربية .

وحتى الأدب الشعبى كان له نصيب كبير من جهود المهجريين فقد كانت جريدة « أيمد هوز » التى يصدرها ناصر شاتيلا أروع مثال لهذا اللون الفكه فقد كان فيها نقد لاذع وفكاهة ممتعة باللسان اللبنانى المحلى ، وأجمل ما فيها تلك المحاكمات التى تعقدها لمحاسبة الأدباء فتخلط الهزل بالجد والنقد بالفكاهة ، ومن الظريف أن تعرف — وإن كان خروجاً عن الموضوع — أن للشعر الشعبى قيمة ليست قليلة عند المهجريين وقد تدخل هذا الشعر فى الإعلانات عن البضائع والتاجر واشد ما يضحكك أن تقرأ البيتين الآتيين على لسان بنت تخاطب أمها :

تا أحلى بعيون الشبان بلكى حد إينحطبى
يا أمى بدى فستان من حرير لويس كنزى

وهذا اللون من الإعلانات بالشعر العامى يرجع بك إلى التأريخ العربى القديم فى قصة « المحلق » عند ما كسدت سوق بناته فلم يخطبهن أحد فاستضافه الأعشى وأطعمه وسقاه ثم طلب

إليه أن يشيد بذكره فكانت تلك القصيدة المشهورة التي منها في وصف نار المحلق :

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

ثم كان بعدها زواج بنات المحلق بأصـدقة عالية . وفي قصة بائع «الخُمُر» حين لم يجد من يشترى شيئاً من بضاعته فاستنجد بأحد الشعراء وكانت تلك القصيدة التي منها :

قل للمليحة في الخمار الأسود ما ذا فعلت بناسك متعبد

وأما مجلتا «الشرق» و«العصبة» فإنهما أسمى مثال للفن الصحفي العالمي من حيث الطباعة والإتقان وأسمى مثال للأدب العربي في عهده الحاضر من حيث التطور الفكري والإبداع في الشعر والنثر .

هذه لمحة استعراضية عن جهود إخواننا المهجريين في بعث الأدب العربي والدعوة إلى العروبة في المهاجر الغربية وتركيزها على قاعدة التطور ومماشاة الزمن .

أفلا يجدر بهذا الأدب أن يأخذ نصيبه في مناهج الأدب الشرقي ومعاهد التعليم فيه ونشره بين الشباب المتطلع إلى الحياة الجديدة ، ثم ألا يجدر بهذا الجيل أن يضيف إلى معلوماته عن امرئ القيس ، والمتنبي ، وشوقي ، والرصافي شيئاً عن جبران وميخائيل وإيليا ؟ .

إن مناهجنا التعليمية ودراساتنا الحديثة تجحف أشد الإجحاف بحقوق المهجريين بل بحقوق الأدب العربي والناشئة الحديثة ، وليس ذنب هـذا الأدب إلا أنه عصارة الروح والعقل والمثل الإنسانية العليا ، وإلا كونه خالياً من الزخرف والصناعة والتقاليد . وحتى المطابع والمكتبات عندنا لا نجد فيها أثراً بارزاً لأدب المهجر إلا القليـل الذي لا يغني ولا يسمن . أليس من الغريب أن تبحث عن « الجداول » لإيليا أبي ماضي فلا تجد له أثراً في مكتبات القاهرة مع أنه قد طبع في أمريكا والعراق .

ولعلي قد خرجت عن الموضوع وتجاوزت إلى الزيادة في القول فلا عد مرة ثانية لأشكر الأستاذ مناور عويس على اتجاهه هذا والتنويه بأدب ميخائيل نعيمه ويسرني أن يكون انتخابه لبعض القطع الشعرية خالياً من الحـذف والتحريف ولا سيما إذا كان المحذوف شطراً في نهاية مقطع كحذفه قول الشاعر : بخشوع جاثيه . بعد قوله : « وتجزى كنبي هبط الوحي عليه » في قصيدة « من أنت يا نفس » .

وكذكره البيت الآتي: أنت برق أنت رعد أنت ليل أنت فجر مخالفا لنصه الأصلي : أنت شمس أنت رعد أنت برق أنت فجر ولعل للاستاذ عذرا في ذلك لأنه اعتمد على « همس الجفون » وفيه بعض المغايرات لما نشر قديماً في الصحف والمجاميع وقد يكون ذلك من رأي الشاعر نفسه . ومهما يكن من شيء فإن هذه تبعات لا يؤاخذ عليها الكاتب الفاضل إلى جانب اهتمامه بالأدب المهجري وخصوصاً أدب ميخائيل نعيمه.

إبراهيم الوائلي

اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة

بعثة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

تعلن اللجنة أنها ستوفد إلى انجلترا في شهر مارس سنة ١٩٤٨ بعثة من ثلاثة مهندسين للتخصص في الاذاعة اللاسلكية لمدة سنة ونصف منها سنة بشركة مارکوني وستة أشهر بمؤسسات بعثة الاذاعة البريطانية .

ويشترط فيمن يتقدم لهذه البعثة أن يكون حاصلا على بكالوريوس الهندسة قسم الكهرباء من الدفعات الثلاث الأخيرة (١٩٤٥ — ١٩٤٦ — ١٩٤٧) بدرجة جيد جداً على الأقل وألا تزيد سنه في أكتوبر سنة ١٩٤٧ على ٢٨ سنة

فعلى من يرغب في ترشيح نفسه لهذه البعثة أن يملأ الاستمارة الخاصة بذلك والتي يمكن الحصول عليها من إدارة التوريدات بوزارة المعارف بالقاهرة أو من جامعة فاروق الأول بالأسكندرية نظير دفع ٦٠ مليما ويجب على الطالب أن يقدم مع الاستمارة بيانا بدرجاته في جميع سنى دراسته بالكلية مصدقا عليه منها ثم يرسل طلبه بعد استيفائه مسجلا بالبريد باسم حضرة صاحب المعالي رئيس اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة بوزارة المعارف وذلك إذا كان الطالب غير موظف في الحكومة أما إذا كان موظفاً فيها فيجب أن يقدم طلبه عن طريق المصلحة التي هو تابع لها وفي كلتا الحالتين يجب ألا يتأخر وصول الطلب إلى سكرتارية اللجنة عن ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ ولن يلتفت إلى أي طلب لا يقدمه صاحبه على الاستمارة المذكورة في الميعاد المذكور .

٨٨٥٠